

والاكتشاف ولو بقي في بلاده لدفت قرمحه حيث دفن كثير من القرائح ولم يستفد هو ولا استفاد منه نوع الانسان

## الرجال والمناصب

قبل اجمع اربعة رجال في استراليا منذ مدة وجيزة ثلاثة منهم رعاة غنم والرابع صاحب تلك الغنم. اما الثلاثة فواحد منهم درس في مدرسة اكسفرد الجامعة ونال شهادتها والثاني درس في مدرسة كبردج الجامعة ونال شهادتها وها اعظم مدارس الانكليز. والثالث درس في مدرسة جرمانية جامعة ونال شهادتها. والرابع لم يدرس في مدرسة ولا يكاد يجسن القراءة ولكنه احيا ارضاً مواتاً في استراليا وربى فيها قطعان الغنم قاغنى منها واستخدم اولئك العلماء لرعايتها بعد ان ضاقت في وجوههم ابواب الرزق. وقال احد مشاهير الكتاب الاوربيين ان رجل الدنيا يعرف امورها كما يعرف الجبن دوده فان هذا الدود يولد في الجبن ويعيش فيه و يفتدي منه ولا يخطر بباله اللين ولا البقرة ولا المرعى ولا شيء من جميع الاسباب والوسائط التي ولدت الجبن بل الجبن نفسه وهو يمثل به في لونه وطعمه حتى اذا اكله احد خطأ مع الجبن لم يجد فرقاً بين طعمه وطعم الجبن

ومما يمكن في هذين المثالين من الحفارة التي تعافها النفس ترفعاً والكرهه التي يعافها الذوق تفرزاً فانها يمتلان جانباً كبيراً مما يرى من فلاح البعض وفشل البعض الآخر. فكم من تاجر لو اراد الدرّ يطبخ وهو يجيئ القراءه وكتاب مخزنه ووكلامه تجارته من الذين تلقوا دروسهم في اعلى المدارس ونفقوا فيها او هم من ارباب الثر والنظم والتاليف والتصنيف. وكم من وزير رقى ارفع المناصب السياسية ودانت له العباد وهو ليس على شيء من العلم ولا يتناز على بعض كتابه في الذكاء. ولا يخطر على بال احد من طلاب التجارة ان يقول للتجار الكبار تتحا عن الاعمال فقد كنتم ما كنتم من الاموال لان العفل والنفل يدلان على ان العمر ميدان جهاد وكل بنال منه على قدر جدوه وفرصه ووسائطه وقل ان يخرج احد من هذا الميدان عنوا ويترك مواقف النصر لغيره اطاعة لامر احد من الساعين في اثره. بل يبقى الظافر في موقفه الى ان تدركه المنية او يعتزله من تلقاء نفسه طلباً للراحة حين لا يبقى له مطمع بزيادة الارتقاء. وهذا شأن رجال السياسة ايضاً ورجال الزراعة والصناعة وكل الذين جاهدوا جهاد الابطال وسبقوا غيرهم في ميدان الاعمال فانهم لا يكتفون عن طلب الارتقاء

الآ في ما ندر . وارباب السعي الذين خلتوا للارتقاء لا يقولون للذين سبقهم فنوا حيث  
اتم لكي تلقى بكم او تأخرها لكي نسفكم بل يفتدون بهم في السعي والمجد ويتبعون كل روض  
ويقتون دلوهم في كل حوض ناظرين الى الغرض الذي امامهم الى ان يدركوه . ولن ترى  
رجلاً يقول لغيره قف حتى المحكك او تأخر حتى اسبلك وهو ممن يرجى نجاحهم

اجتمعنا بالامس برجل تلقى العلوم في اشهر مدارس اوربا ونال اسمي شهادتها وانظم  
في اعظم جمعياتها وتأهل لمنصب خاص في دوائر الحكومة المصرية تأهلاً تاماً علماً وعملاً  
ولكنه لم يشغله الأمد وجزءه وأخرج منه ووضع في منصب آخر بضيع فيه استعدادهُ وتذهب  
السون التي قضاها في اعلى مدارس اوربا مدى . وقد قصص علينا ذلك وهو يتأرق ويحسر  
ويشكو من رؤسائه وقلة انصافهم فاذا ذكرنا كثيرين حسب علمهم ذكراهم كما قيل ولم ينجحوا في  
العمل مع براعتهم في العلم لان آلات استعدادهم كان يتقصها قليل من زيت الدربة . فلا يخفى ان  
الآلات الكبيرة مهما تعدت اجزاؤها واحكم صنعها واحسن وضعها لا تتدور جيداً ولا تعمل عملاً  
نافعاً ما لم يصب عليها قليل من الزيت وهذا الزيت طفيف في نفسه ولا يمكن ان يدبر آلة  
وحده ولا يعمل عملاً كبيراً ولا صغيراً ولكنه ضروري لكل الآلات والادوات لكي يسهل  
عملها وتدور زماناً طويلاً .

والعلم والفلسفة والبراعة والمهارة آلات للعمل ووسائل للنجاح ولكنها لا تجري يوماً  
واحدة ولا تقني صاحبها بغير الزيت المشار اليه . والآلة التي زيتها كاف تجرى بهاراً وليلاً  
ولولم تكن مثقفة الصنع ولا محكمة الوضع ولو اردنا ان نقرب امثلة على ذلك لا يمكننا ان  
نذكر اكثر الذين اشتهروا في العلم والفلسفة والحكمة والمهارة فانهم ماتوا في الفقر المدقع  
او اتوا اموراً يصحك المنها منها ويكي من عواقبها الحليم اولم يستفيدوا من مؤلثاتهم  
ومبتكراتهم ومخترعاتهم جزءاً من الف ما استفادها منها مستخدموم وما ذلك الا لانهم كانوا  
خالين من الزيت المذكور زيت الدربة في العمل ووضع الامور في مكانها وزمانها . وهذا  
الزيت نسه لا يجعل الانسان غنياً ولا اميراً ولا شهيراً ولكن كثيرين حرموا من بلوغ الغنى  
والامارة والشهرة مع توفر اسبابها فيهم لانهم كانوا خالين من هذا الزيت

هذا ناهيك عن ان الاستخدام طريق واحد من طرق المعاش وهو ليس افضلها ولا  
ارجحها فلا ترى مفلحاً بين الذين خدموا الحكومة حتى ترى عشرة افلحوا في التجارة او الزراعة  
ولاسباب في هذا القطر الذي كثرت فيه طلاب الاستخدام مع ان وظائف الحكومة محدودة  
والاموال التي تنفقها على مستخدميها محدودة ايضاً بجهود دولية وباب الزراعة والتجارة

واسعان جداً وبمحملان الانساع الى ما شاء الله  
فلم نكد بسطة له هذه الامور حتى صدق لها واخذ يورد لنا الادلة التي تؤيدها ويستشهد  
باناس في هذا القطر رقول امي المناصب السياسية بعد ان ظن انهم غير اهل لادائها  
وبغيرهم من الذين لم يرتقوا مع ما ظهر منهم من النجابة وهم في حدائهم و ببعض الذين اهتموا  
بالزراعة فربحوا منها اكثر مما ربح اخوتهم من خدمة الحكومة .

وقد قيل ان ذكاء المرء محسوب عليه وما ذلك الا لما شوهد من ان اذكيا العقول  
قلما يكونون اهل سعي وعمل ومن ان اهل السعي والعمل قلما يكونون من اذكيا العقول كاز  
الذكاء يوري نار العزيمة فحترق وتتفد كما يفد الوقود بالنار. وشأن الذكي العقل المهذب شأن  
الموسى المحاد فهو شديد المضاء ولكنه يشلم لاقبل سبب واذا كان من الذين هذبوا التهذيب  
النم ورحمت في تنوسهم الوداعة والفضة اللتان تتجان من الرسوخ في العلم عمر عليهم اقتحام  
الاعمال والنجاح فيها وصاروا اقرب الى الاكتفاء بالاقيسة المنطقية والادلة العملية والاحكام  
عن المشاق حتى قال احد ارباب الحكمة العملية لا يتلخ من لا يخاطر ولا يخاطر من يعلم  
جهله . وقال ايضا ان بعض الشبان قد بولغ في تعليمهم وتهذيبهم حتى لم يعودوا يصلحون  
الا لان يوضعوا في معارض التحف لكي يتفرج الناس برؤيتهم وما احسن ما قيل

المجد انهمض بالنتى من عقله فانهمض مجدك في الحوادث او ذر

ولا عبة بنجاح بعض النوايع الناتئين في العلم والعرفان الذين يظهرن في الارض ظهور  
ذوات الاذئاب في السماء فانهم نواذر والناذر لا يبتى عليه حكم  
وما تقدم لا يفتى وجوب التعليم والتهذيب ولكنه يوجب قرنها بالعمل لكي يستفيد  
صاحبها منها والا اصاع العمر فيها على غير نفع لنفسه ولا لغيره .

وللنجاح دعائم كثيرة غير التعليم والتهذيب وكلها لازمة مثله . والزيت المشار اليه اتقا  
اشدعا لزوما اذ لانجاح بدونه بخلاف العلم النظري الجرد فانه ليس من الضروريات  
للنجاح بل قد يكون عقبة في طريقه . قيل ان حكومة الصين تجعل المهارة في العلوم  
النظرية شرطا واجبا للتوظيف ولا تنبل موظفا في خدمتها ما لم يجتاز الامتحان الصارم  
في جميع العلوم النظرية فكانت نتيجة ذلك ان ساءت احوالها وانحطت دولتها عن كل  
دول الارض

وكيف يتلخ في امور الدنيا رجل مثل ابن رشد الفيلسوف العربي وهو لا يعرف ان  
بداري اهل زمانه او مثل كرنيل الشاعر الفرنسي الشهير وهو لم يعرف كيف يتلخ

ريالاً واحداً لشيوخه او مثل بتوفيق الموسيقى الالماني النهر وقد كان لا يعرف ان يقطع الكوبون من سنه يديه فيبيع السد كلة اذا احتاج الى قليل من الدرهم. و اراد مرة ان يشتري قليلاً من النسيج ليخط منه قميصاً فارسل الى احد اصداقائه ٢٥ جنيتها ليشتري له النسيج المطلوب مع انه كان يضطر أحياناً ان يبيع اربعة ايام على الخبز الحاف. او مثل غلدمسث الكاتب الانكليزي الذي كان احكم الناس والتلم في يده فان الاموال كانت تنهال عليه انهبال السبل ولكنه كان ينفقها يوم و يرددها و يتبلغ بالثروت تيلغاً في يومه التالي . و رب قائل بتول ما هو المخلق اللازم للنجاح او ما هو الزيت الذي اشتم اليو . و الجواب ان المنصف بهذا المخلق ينسبه الى كل الامور التي نجسها طينة و بحكم اعتبارها او يستفيد منها سواء كان بائعاً او شارباً حالاً او راحلاً ضيقاً او مضيقاً دائماً او مديوناً مخاطباً او مجاوباً و غير المنصف بها يشتري امتعة من اعلى الاسواق و يبيع بضاعة في ارخصها و يلصق ببقعة لصوق الحار في صدور البحر او يركب كل راحلة لثائفة و لغير فائده و يتنقد طعام مضيعة و يمين على اسمي ضيوفه مقاماً و يدين امواله لمن لا يرتجى منه ايثارها و يستدين ممن يطلب الربا الفاحش و يقبل الصك مرتين في الشهر . ولا ينتبه الى القاب الذين يخاطبهم فيعامل الرئيس كالمرووس و المرووس كالرئيس

وقد يحجب الناس من قصور بعض المشهورين بالعلم و التبل عن ارتفاع المناصب العالية و نجاحهم في امور الدنيا و لكنهم لو امتنعوا نظرم في ذلك لما خفي عليهم امره فان التجرد في العلوم و النجاح في الاعمال امران مختلفان تمام الاستقلال فمن اقتصر على المباحث النظرية لم يشعر بما يشعر به من ضيق مجته النظري و اتبته الى الامور المعاشية ايضاً ناهيك عن ان الاتباه الى الامور المعاشية مجرداً عن المباحث العلمية النظرية يكنى للنجاح في امور الدنيا . فيينا ترى العالم التحرير ينظر في مقدمات القياس واحدة واحدة للبلوغ الى النتيجة ترى رجل الدنيا يشب و ثبة الليث من المقدمة الاولى الى النتيجة الاخيرة دفعة واحدة و يقبض على الغنيمة التي ضاعت من يد العالم لبطئو . و يينا ترى رجل الاماني جالساً في بيتو يلوم اهل المناصب لانهم لا يتخلون عنها له ترى رجل الخزم يغالهم عليها و يبتئها من يدم قوة و اقتداراً بتاهيل تنسوها و اغنام الفرص للحصول عليها . فليس في هذه الدنيا 'تخل' عن مقامك و ضمني فيه بل خذ الاذية لنسك فانتى مزاحك عليه'